صورة الثورة الجزائرية في الخطاب الروائي الجزائري
ثلاثية " محمد ديب" (الدار الكبيرة ، الحريق ، النول) أنموذجا

The image of the Algerian revolution in the Algerian novelist discourse the "Mohamed Deeb" trilogy (The Great House, Al-Hareq, Al-Nol) as a model.

الدكتورة : أمنة عشاب *
كلية الآداب والفنون . جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف . الجزائر.
البريد الإلكتروني : a.achab@univ-chlef.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/05 تاريخ القبول: 2021/11/06 تاريخ النشر: 2021/12/30

ملخص:

لقيت " الثورة الجزائرية" اهتماما كبيرا من قبل مختلف الأدباء والمبدعين على اختلاف مشاربهم، وبرع كلّ مبدع في تصويرها والتعريف بها للعالم لأنّها مفخرة الشعب الجزائري الذي رفض الاستعمار وكافحه بكلّ ما أوتي من قوة لتوفير الحياة الكريمة. وكانت الرواية الجزائرية النموذج الأدبي الأسمى في التعبير عنها وهذا مرجعه – من وجهة نظرنا- إلى طبيعة الرواية في حدّ ذاتها القائمة على" الانفتاحية" والتي تمكنّها من استيعاب مستجدات العصر ومواكبة تطوراته، فالرواية خُلقت من رحم الواقع الاجتماعي، وهي أقرب فن أدبي إلى الحياة، ومن هنا كانت وسيلة الكتاب في التعبير عن أفكارهم وممارستهم الابداعية)، حيث برز الكثير من الروائيين في التعبير عن هذا الحدث الضخم، ووقع اختيارنا على "محمد ديب "من خلال ثلاثيته الشهيرة (الدار لكبيرة، الحريق، النول)، لأنّنا نعتبرها ثلاثية أرّخت للثورة الجزائرية وتنبّأت بميلادها كما كشفت عن أسباب قيامها، بالإضافة إلى أنّها أظهرت مسؤولية الروائي اتجاه مجتمعه في أن يعبّر عنه بصوته في عالمه الإبداعي.

* المؤلف المرسل : الدكتورة أمنة عشاب

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية، الرواية، الخطاب الروائي الجزائري، ثلاثية محمد ديب.

Abstract :

The "Algerian Revolution" received great attention from various writers and creators of all kinds, and every creator excelled in portraying it and introducing it to the world because it is the pride of the Algerian people who rejected colonialism and struggled with all their might to provide a decent life. The Algerian novel was the supreme literary model in expressing it, and this is its reference - from our point of view - to the nature of the novel in itself, which is based on "openness", which enables it to absorb the developments of the era and keep pace with its developments. The novel was created from the womb of social reality, and it is the closest literary art to life, Hence, the writers' way of expressing their ideas and creative practice), where many novelists emerged in expressing this huge event, and we chose "Mohamed Deeb" through his famous trilogy (Al-Dar Lakbira, Al-Hariq, Al-Nol), because we consider it a trilogy that dated the revolution. The Algerian woman predicted her birth and revealed the reasons for her rise, in addition to showing the novelist's responsibility towards his society in expressing it with his voice in his creative world.

Keywords: the Algerian revolution, the novel, the Algerian novelist discourse, the Mohamed Dib trilogy.

1 . مقدمة :

تمثّل الثورة الجزائرية نقطة تحول، أو يمكن القول أنّ " الثورة في حقيقتها (هي) حدث خارق للمألوف ، لذلك فإنّها تغيّر كلّ شيء حتى المستحيل يتحقق لأنّ مجرى التاريخ يغير وكلّ شيء يصبح قابلاً للتغيير والتلوين" [1]، وهذا نراه سبباً رئيساً للاهتمام بها ، فهي تكشف عن صحوة عقول وفطنتها ، ونهضة فكر ووعي أمة ، من هنا تحدّدت كمرحلة حاسمة لرسم تاريخ شعب وفق تأملاته وطموحاته. فكانت الرواية النموذج الأدبي الأسمى في التعبير عنها وهذا مرجعه – من وجهة نظرنا– إلى طبيعة الرواية في حدّ ذاتها القائمة على" الانفتاحية" والتي تمكنّها من استيعاب مستجدات العصر ومواكبة تطوراته ، فالرواية خُلقت من رحم الواقع الاجتماعي، حيث يرى الدكتور (إبراهيم سعدي) أنّ الرواية هي أقرب فن أدبي إلى الحياة [2]،من هنا " كانت الرواية هي

وسيلة هؤلاء الكتاب في التعبير عن أفكارهم وممارستهم الابداعية "[3]، حيث برز الكثير من الروائيين في التعبير عن هذا الحدث الضخم ، ووقع اختيارنا على "محمد ديب "من خلالثلاثيته الشهيرة (الدار لكبيرة ، الحريق ، النول) ، لأنّنا نعتبرها ثلاثية أرّخت للثورة الجزائرية وتنبّأت بميلادها كما كشفت عن أسباب قيامها، بالإضافة إلى أنّها أظهرت مسؤولية الروائي اتجاه مجتمعه في أن يعبّر عنه بصوته في عالمه الإبداعي.

لقد صور " محمد ديب " الحياة الاجتماعية للشعب الجزائري التي عاشها أثناء الاستعمار الفرنسي ، وماعاناه من فقر وجوع وجهل وظلم وتشريد وتعذيب، إذ كان (النظام السياسي القائم آنذاك على التجهيل وعرقلة التقدم الاجتماعي) [4]

حتى يتمكّن المستعمر من فرض سيطرته على الشعب ، فـ (لاشك أنّ الاحتلال الاستيطاني الفرنسي في الجزائر قد قضى على المعالم الثقافية ، وكبح جميع إمكانات التطور الاجتماعي والثقافي للشعب الجزائري، الذي ظلّ يرزخ تحت بطشه وتسلطه قرابة مائة وثلاثين سنة) [5]

ما لاحظناه على ثلاثية " محمد ديب" أنّه حاول من خلالها أن يكشف للعالم أسباب قيام الثورة من خلال تصوير الواقع الاجتماعي للشعب الجزائري ، كما دعى كلّ الجزائريين إلى ضرورة التغيير والوقوف في وجه المستعمر .وهنا يمكننا القول أنّ الكتابة الروائية قد تتجاوز كونها مجرد إبداع ، لتصبح صورة معبّرة عن التاريخ ، إذ (ليست الكتابة الروائية عند الروائيين عملية تتم دون خطورة ، وهاته الخطورة تأتي من جهة التاريخ ، الذي تتصرف فيه كمادة ، ومن جهة الرواية ذاتها ، والتي تتخيل المادة التاريخية ، وما تصنعه الرواية هنا هو تعصير الماضي) [6]فالثورة الجزائرية لقيت اهتماماً كبيراً من قبل الروائيين و المخرجين على حدٍّ سواء على المستوى الداخلي والخارجي [7].

إنّ أوّل ما نبدأ به في توضيح صورة الثورة الجزائرية هو رواية " **الدار لكبيرة**" ، حيث يلفت انتباهنا العنوان الذي يتعلق بحيز مكاني هو "**الدار لكبيرة**"، ولأنَّ العنوان دال في حدّ ذاته، فيمكن تفسير مدلوله في ثنايا النص.

تمثّل العنوان في مكون مكاني، نفترض من خلاله أنَّه سيكون الحيز الذي يستوعب أفعال الشخصيات وسلوكها. ولأن العنوان (شبكة دلالية يفتَتح بها النص ويؤسس لنقطة الانطلاق

الطبيعية فيه)[8]، يظهرلنا أنَّ النص الروائي يتعلق بهذه الدار.وبالولوج إلى عالم الرواية، نكتشِف أنَّها تُعالج جانباً اجتماعياً يعيشه سكان الدار لكبيرة أو دار السبيطار، حيث (كان انشغالهم اقتصادياً بالدرجة الأولى)[9].

جاء العنوان "**الدار لكبيرة**" نظرا لأنها بناية واسعة جدا أشبه بالبلدة، يقطنها سكان، حاول الروائي من خلال تصوير واقعهم الاجتماعي المُزري بتقديم نموذج عن حياة المجتمع الجزائري آنذاك.

كما تُدعى داخل المتن الحكائي أيضاً بـ "**دار السبيطار**"،وربما جاءت تسميتها بهذا الاسم لأنَّها مكتظة بالسكان تعيش حالة من الفوضى، فهي(مليئة كخلية النحل)[10] ، كما أنَّ كلّ سكانها مستأجرين أي ليسوا مالكين لغرفهم التي يقطنون فيها (لقد تحولت العائلة من دار إلى دار أخرى عدّة مرات، فكان أمرها ينتهي في كلّ مرة في مسكن كهذا في غرفة واحدة)[11]

نرى أنّ"الدار لكبيرة" جاءت تسميتها بـ"دار السبيطار" كصفة لها، لأنَّ كلمة "السبيطار" هي كلمة فرنسية معربة أصلها "Hopital" أي مستشفى، وما يلاحظ على هذا المكان كثرة الحركة والصراخ والعويل والصيحات والأصوات المرتفعة...، ولأنَّ سكان الدار لكبيرة يعيشون وضعية مشابهة لوضعية المستشفيات أطلق عليها السارد اسم "دار السبيطار".أوربما أنَّ تسميتها بـ"دار السبيطار" يرجع إلى أنَّه اسم شائع يتداوله سكان الحي.

تعالج الرواية قضية اجتماعية من خلال فئة تتمثل في سكان دار السبيطار، حيث يشتركون في سوء المستوى المعيشي وخاصة "عيني" وعائلتها، فهَمُهم الوحيد هو توفير الخبز باعتباره الغذاء الأساسي الذي يعتمدون عليه في معيشتهم، وأكثر ما يكون يابساً.واتضحت هذه الحالة المزرية المتمثلة في الفقر والجوع بين أطفال المدرسة الفقراء، فكثيراً ما يقع الشجار بينهم من أجل قطعة الخبز، بحيث يحاول كلّ واحد من الصِبية أن يأكل قطعة الخبز التي معه في القسم خوفاً من أن يأكلها "عمر" في وقت الراحة.

كما صّورت لنا الرواية طريقة تدريس الأطفال بالفرنسية، وتلقينهم مبادئ وطنية تخدم شعار (فرنسا هي وطننا الأم) [12] لكن الروح الوطنية في أنفسهم كانت تنبض بالحقيقة بدليل ما جاء في الرواية (كان التلاميذ يؤكدون بينهم أنَّ الفتى الأكثر معرفة بأصناف الكذب، ويعرِف كيف

يُلَفق كذبته أحسن، هو الأفضل في القسم)[13]، وهذا دليل على أنَّهم يدركون أنَّ المعلومات التي يتلقونها خاطئة وكاذبة.

ثم يُبيِّن لنا السارد كيف تتحرّك الروح الوطنية في نفسية المعلم، فينبض قلبه بحب الوطن، ويُلمِّح دون أن يصرِّح في قوله (لا تصدِّقوا، إن قيل لكم بأنَّ فرنسا هي وطنكم)[14].

تكشِف هذه الأحداث التي وقعت إثر الاستعمار الفرنسي للجزائر عن مخلَّفاته المتمثلة في الفقر والجوع والحرمان والتجهيل.حيث حاول الروائي تصوير واقع اجتماعي جزائري خلال فترة الاستعمار الفرنسي من خلال عيّنة تتمثل في سكان دار السبيطار أظهر من خلالها مختلف شخوص عالمه.إذ يمكننا التمييز بين الشخصيات الرئيسية والشخصيات الثانوية اعتماداً على ما حدّده "هينكل" من خصائص[15] ونذكرها فيما يلي :

2-الشخصيات الرئيسية:

-**عمر**: يمثل الشخصية البطل انطلاقاً من فاعليته في النص السردي من خلال تصرفاته وأفعاله، رغم صغر سنه، فهو طفل في العاشرة من عمره، عاش في صراع مرير مع الجوع،كما عرفت شخصية "عمر" تحولاً في النص السردي فهو (لم يعد طفلاً، لقد تحوّل إلى جزء من تلك القوة البكماء، التي تؤكِد عزم الرجال في الوقوف ضد

تحطيمهم)[16]، فتبلورت لديه أفكار جديدة اتجاه الجوع، سكان دار السبيطار، الحرب، الوطن، حميد سراج،...

-**عيني**: امرأة أرملة لها أربعة أولاد بنتان (عويشة ومريم)، وطفلان (جيلالي وعمر)، بعد عامين تقريباً من موت الزوج فقدت ابنها نتيجة مرض في الصدر، وهي المموِّل الوحيد للعائلة فهي تعمل جاهدة على آلة الخياطة لتُوفِر الخبز لهم، بما في ذلك الجدة، حيث تقول ("أنا الخدامة" ذكرت عيني مرة أخرى، و "دم فؤادي" هو الذي يسيل لكنه واجب) [17] لذا آلة الخياطة بالنسبة إليهم (مثَّلت خط دفاعهم الأخير ضد الحرمان المطلق) [18].

– حميد سراج: على الرغم من أنَّ وجوده في الرواية لا يظهر بصورة مكثفة إلاَّ أنَّه يعدّ شخصية رئيسية من خلال العمق الشخصي الذي يجسده واهتمام مختلف سكان دار السبيطار به فهو يبدو شخصاً غامضاً يلّفه التعقيد ممّا جعله في نظرهم رجلاً غريباً.

إنَّ حياته العجيبة والمليئة بالأسرار جعلته يلقى فضولاً واهتماماً من قبل مختلف سكان دار السبيطار، حتى الطفل "عمر" الذي كان يُكنّ له حباً واحتراماً لوجود رابط خفي بينهما. كما أعار هذا الرجل لعمر كتاباً معنوناً بـ:"الجبال والرجال" (كتاب جلس الطفل ليفكك رموزه بصبر وأناة، صفحة، صفحة، دون كلل أو ملل؛ كلفه الفراغ من قراءته أربعة أشهر)[19] .

ما يُدركه العام والخاص عن هذا الرجل أنَّ الشرطة كانت تبحث عنه في مرات كثيرة. كما كان يقيم اجتماعات سرية مع الفلاحين في "محل" في شارع "بَاسْ"، حيث يتجمَّع الفلاحون ليستمعون بوضوح تام لكلامه الذي كان يُصرِّح بضرورة وضع حد لهذا البؤس.

من خلال تحديدنا للشخصيات الرئيسية في هذه الرواية، نجد أنَّها تُصنَّف ضمن "الشخصيات المدورة" Round، (التي تجسّد كلّ أنواع التنوع والتقيد في الطبيعة الإنسانية)[20]، حيث نلاحظ مثلاً أنَّ "عمر" في الرواية مشاعره تتغير، أفكاره متضاربة، تصرفاته تجمع بين (الطيبة) مع (معطف الكاكي) والعنف والضرب مع غيره من التلاميذ. كما أنَّ تفكيره اتجاه الوطن، فرنسا، الحرب، حميد سراج،...أكبر من سِنه.

أمَّا "عيني" فمعاملتها تغلب عليها القساوة سواء مع الجدة أو مع أولادِها، في حين تتصف باللطف في تعاملها مع "العمة حسنى".كما أنَّ الجو العائلي الذي تحيا فيه مع أولادها في ظلِّ الظروف المعيشية الصعبة التي

ملؤها الجوع والفقر والحرمان، جعلها تمثِل بحقٍ بعداً مأساوياً، فهي تصارع لأجل الخبز.

يُمثِّل"حميدسراج"شخصية غامضة، يثير فضول سكان دار السبيطار، لا يعرِف أحد عن ماضيه ولا عن حاضره سوى أنَّه أخو فاطمة، دائم القراءة، وكثيراً ما تبحث عنه الشرطة، تصرفاته أكسبته هيبة ووقاراً.

3–الشخصيات الثانوية:

تقلّ أهميتها عن الشخصيات الرئيسية لكن لها دور تكميلي في بناء النسيج السردي، فهي تُضيء بعض الجوانب التي تخلق بعداً تصويراً فتوضِّح الرؤية للقارئ ليتمكن من رسم صورة عامة عن العالم الذي تُصوره الرواية في مخيلته.

يمكننا أن نحصي منها "العمة حسنى"، الجدة، عويشة ومريم، معطف الكاكي، زهور، رشيد بري، إدريس بلخوجة، موسيو حسن، إبراهيم بالي، كريمو، زينة، ابنة العم منصورية، محمد شرَّاك الذي كان الاطفال ينادونه بـ "ديدوباراشو"، سي صالح وزوجته، لالة زهرة، سنيَّة، العجوز عائشة، فاطمة، زوليخة، منّون، عتيقة.

إنَّ هذه الشخصيات تتفاوت فيما بينها من حيث الأهمية بحسب درجة قربها من الشخصية البطل، وبحسب اهتمام السارد بها بغية توضيح فكرة كما هو الحال مع "موسيو حسن" و"محمد شرَّاك". أو تحديد علاقة ما للكشف عن مشاعر الشخصية البطل، مثلما هو الأمر مع "معطف الكاكي"، (حيث كان عمر يقرأ فيه الترقب، الأمل الرقراق، والحيرة)[21]، أو في علاقته مع "زهور"، إذ (كثيراً ما كان عمر يلتقي على انفراد بزهور؛ وكان في كلِّ مرة، يكتشف عالم المحبة الذي كان أيضاً مصدر تخوف، لذا فإنَّه لم يكن يبوح لأحد بشيء [...] كانت المحبة التي تربط عمر بزهور تنبت كما تنبت زهرة فوق صخرة متوحشة)[22].

4–البناء الفنّي للمكان:تقع أغلب أحداث الرواية في "دار السبيطار" فهي تشكِل المكان المهيمن وهي(أشبه بالبلدة بحكم أبعادها التي كانت واسعة جداً)[23].وهي عمارة مِلك لـ "سي صالح"، أمَّا عدد المستأجرين الذين يأوون إليها فلا يمكن الجزم بتحديده، وهي مكان ضاغط ضيق لامتنفس فيه بالنسبة إلى عمر.

5– البناء الفنّي للزمن :بالاعتماد على بعض المؤشرات الزمنية، يمكننا القول أنَّ أحداث الرواية وقعت في سنة
واحدة. وقد حدّد السارد بعض شهورها وما وقع فيه من أحداث كالتالي:

-شهر فيفري: (عندما تنزل درجة الحرارة في شهر فيفري بتلمسان، يتأكد الناس بأنَّ الثلج سيتساقط).[24]

-شهر مارس: (حلّ شهر مارس، كان ثاني يوم الأحد من هذا الشهر، يوماً مشهوداً بالنسبة لدار السبيطار)[25].

-الربيع: (حلّ الربيع بهدوء، فأطلق سراح الأوراق الأولى، واهنة مرتجفة في شجرة العنب، التي تغطي الساحة بفروعها)[26].

-شهر أوت: (ثم جاء البياض الخانق، مع شهر أوت ليحل محلّ اشتعال الربيع[27].
(في الخارج ليلة من ليالي أوت)[28].

-شهر سبتمبر: (حدث ذلك مساء، من شهر سبتمر)[29]

ما نلاحظه أنَّ السارد لم يعتمِد على التحديد الدقيق للزمن، لأنَّه اهتم بتوضيح الحياة الاجتماعية لفئة من المجتمع الجزائري تتمثل في سكان دار السبيطار.

وحتى في توظيفه للمفارقات الزمنية فإنَّه يُقدِّم معلومات تتعلق بالجانب الاجتماعي لتوضيح الصورة للقارئ دون أن يعتمد على التحديد التاريخي، وإنَّمايكتفي بالإشارات الزمنية التي تدل على الماضي أو المستقبل.

أمّا رواية " **الحريق** "فنلاحظ أنّ العنوان شكَّل لغزاً في الرواية، حيث لم نتعرَّف على مفتعله، وبقيت شكوك تُساوِر شخصيات الرواية والقارئ معاً.

وما لمسنَاه أنَّ للحريق دلالة سطحية تتمثل في النار التي اشتعلت في أكواخ الفلاحين، ونستدِل على ذلك بالمقاطع الروائية التالية:

-(...ثم في ليلة من الليالي، سمع دوي أصوات:" النجدة ! النار !")[30]

-(أمام صف من أكواخ تنبعث منها ألسنة نار كبيرة، وقف بعض المستوطنين يشاهدون ساكتين...)[31]

-(حريق نظيف تسبَّب في تنقية الموقع)[32].

كما يحمِل هذا العنوان دلالة عميقة تلِجُ في النفوس من خلال ما ذكره السارد (تمَّ إشعال حريق لن ينطفئ بعد هذا أبداً، سيظل يزحف بالتلمس، سراً، تحت الأرض؛ لن تهدأ ألسنته الدامية ما لم تلق على البلد كله بريقها الكئيب)[33]

فالحريق بهذا المفهوم يتجاوز النيران التي اشتعلت في أكواخ الفلاحين، ليصبِح له مدلول استمراري يرتبط بالبلد ككل، وكأنَّه سيُشكّل نقطة انعطاف لتغيير نمط الحياة.

تناولت رواية "الحريق" الحياة الاجتماعية والسياسية لسكان "بني بوبلان" في الريف، وهي توحي بأمر مُستجَد سيُغير العالم وكأنَّها تنبأت باندلاع الثورة قبل عامين، حيث كان يتردد في اجتماعات الفلاحين في بني بوبلان ضرورة وقوع أمر جديد، ونستدِلُّ على ذلك بالمقاطع التالية:

-(صوت ينبعث من الأعماق، يقول لي، بأنَّنا معنيون من أجل تحقيق هذا المآل العظيم)[34]

-(...قال الكرغلي الكبير، بأنَّه يرغب في أن تعمل روح جديدة على دفع الرجال إلى إنجاز أشغال محيرة، أشغال لا كالأشغال التي أَلِفناها، أشغال جديدة وهامة)[35].

-(لئن اجتمعنا اليوم كلنا هنا، فإنَّ الغرض هو بالتحديد أن يوضع حد لاحتقار العالم)[36].

6-الروابط السرديةبين رواية "الحريق" ورواية "الدار لكبيرة":

ترتبط رواية الحريق برواية الدار لكبيرة ارتباطاً وثيقاً، فهي تُشكِل امتداداً سردياً لها، بل نرى أنَّه لا يمكن استيعاب رواية "الحريق" دون قراءة رواية "الدار لكبيرة"، وهذا لوجود روابط حبكية بينهما نذكرها فيما يلي:

6-1-الوصل الحبكي المكاني:

تتركز أحداث رواية "الحريق" في بني بوبلان في الريف، ومع هذا نجد إشارة لدار السبيطار التي تمثِل مكاناً
محورياً في رواية "الدار لكبيرة".

وقد يكون الوصل هنا مرتبطاً بمخيلة الشخصية، كما هو الحال مع "عمر" في قول السارد: (تنتقل أفكاره إلى دار السبيطار، كان يتصورها، كشأنِها كلّ يوم، قاسية شريرة. وفي الحقول، كانت تنتصب

فجأة أمامه، باحثة عنه بكُلِّ أيديها، كانت أرواح الدار لكبيرة، تحاصره من كُلّ جهة، باعثة في قلبه أنفاسها المسمومة)[37].

كما يمكن أن يكون الوصل تصريحاً بأحداث وقعت في دار السبيطار مثلما ذكره السارد: (شيئاً فشيئاً، أخذ سكان دار السبيطار يتوافقون مع حالة الحرب؛ مرّ الوقت، ولم يحدث شيء ممَّا كانوا يخشونه)[38]. ونجد أنَّ السارد انتقل في الصفحات الممتدة من الصفحة (247) إلى الصفحة (289) إلى الحديث عن طبيعة الحياة في دار السبيطار.

6-2-الوصل الحبكي الزمني:

نجد نوعاً من التزامن بين الأحداث الواقعة في رواية "الدار لكبيرة" والأحداث الواقعة في "رواية الحريق" ، ونحدِدها في الشهور التالية: شهر فيفري، شهر أوت، شهر سبتمبر.

وما لاحظناه أنَّ هناك استمرارية في التتابع الزمني بين الروايتين، بحيث يكون زمن رواية "الدار لكبيرة" سابقا لزمن رواية "الحريق".

6-3-الوصل الحبكي الشخصي:

تتكرر بعض الشخصيات في المتن الحكائي لكِلا الروايتين، ممَّا جعلها تشكِل رابطاً سردياً بينهما وهي:

-شخصية عمر: كان سِنه في رواية "الدار لكبيرة" في العاشرة، وفي رواية "الحريق" في الحادي عشر (لم يبلغ الطفل من العمر سوى أحد عشر عاماً)[39]. وكذلك الأمر بالنسبة للشخصيات التالية : زهور، حميد سراج، عيني، العمة حسنى، وعويشة.

6-4- الوصل الحبكي الأسلوبي:

تتشكل بين الروايتين روابط أسلوبية نذكرها فيما يلي:

- رواية الحريق:

(-ماالذي كان رائعاً؟ سأل حميد.

-كل الرجال المجتمعين !كلّ ما كنت تقول لهم، في محلّ النهج السفلي، صاح الطفل، وقد هزَّه حماس مفاجئ، هل نسيت؟)[40].

رواية الدار لكبيرة:

(كان المحل في شارع "بَاسْ" مكتظاً (...)، كان الناس يستمعون: ناس من القرية، فلاحون،...

نعم، هو هذا، قال عمر في نفسه، فجأة، ارتعدت مفاصله.

لقد تعرف على حميد، في أعماق القاعة، وهو يتحدث: نعم، إنَّه هو ! هو حميد إذن...)[41].

رواية الحريق:

(قررت عيني إذن الشروع في أحد تلك الأسفار الشهيرة أتراها ستخوض أيضاً غمار التهريب؟...)[42].

رواية الدار لكبيرة:

(كانت هذه الليلة، مناسبة لعيني، كي تحضِّر مخططاتها، أنَّ تمارس التهريب: لقد سبق لعمر أن سمعها، تعرض مشاريعها ف ذلك أمام لاله؛ وستسافر لفائدة لاله هذه المرة)[43].

رواية الحريق:

(لم يمض عمر وزهور في الدرب إلاّ عندما قالت عيني لابنها: معليه–واااو! لم تعد الأم تفرض على ابنها البقاء في البيت ابتداء من ذلك الوقت، أخذ الطفل يعد الدقائق، كان عبثاً محاولة الاستمساك به وترويضه، ثم تعوَّد، فصار يحدث له مراراً أن يصعد الربوة متوجهاً إلى بني بوبلان لمرافقة زهور)[44].

رواية الدار لكبيرة:

(–إنّني ذاهبة إلى بني بوبلان، قالت له، سيأتي زوج أختي قارة علي، ليأخذني معه، لقد تحدث مع أمي، بين يدي أختي أشغال كثيرة، عليّ أن أساعدها، إن رضيت، فسوف آخذك معي...مثل المرة الماضية...اسأل أمك إن رغبت في السماح لك بالمجيء)[45].

هذه الروابط الأسلوبية بين الروايتين، تجعلنا نقول أنّ رواية "الحريق" تمثِل فِعلاً الجزء الثاني لرواية "الدار لكبيرة" خاصة وأنَّ هذه الأخيرة نهايتها مفتوحة.

7– البناء الفنّي للشخصية: تصوِر رواية "الحريق" الواقع الاجتماعي في "بني بوبلان"، لذا قدَّم لنا السارد أهم شخصياته وفق مواصفات سيكولوجية وخارجية (المظهر الخارجي) واجتماعية وهذا لتمكين القارئ من استيعاب أفعال الشخصيات في الحكي. ونحدِّد الشخصيات بحسب فاعليتها في خطاب الرواية كالتالي:

7-1-**الشخصيات الرئيسية:**

–حميد سراج: إنَّ حميد سراج شخصية وطنية، مثقفة، لها دراية بالكفاح السياسي، ولهذا اعتقِل من قبل الشرطة الفرنسية. وهو الشخصية البطل، لدوره الفعَّال في المتن الحكائي، ولما اتصَّف به من فكر ثاقِب مكنَّه من زرع الصحوة في نفوس الفلاحين وإيقاظ هِممهم (لكن حميد سراج هو الذي أدخل في رؤوسهم فكرة التجمع، فكرة ما كانوا ليفكروا فيها وحدهم، ولن تخطر لهم على بال حتى. لولاه لمَا كانوا على الحالة التي هم عليها في الساعة الراهنة: كلهم متحدون، لكن مالذي يرجونه؟)[46] ،فأفكار "حميد سراج" التي كان يبُثها للفلاحين، شكلت نقطة تحول في مسار حياتهم، وهذا ما مهَّد لإضرابهم.

–عمر: هو طفل في الحادية عشر ، (عمر طفل ينمو في الزمن، زمن اجتماعي معيش. لكن هذا الزمن يتكوّن ،

ومن حيث هو معيش ، في سياق تكوّن وعي عمر به.)[47] ،لازالت مشكلته قائمة مع الخبز، وهو نموذج لمعاناة الطفل الجزائري من الفقر والجوع بدأ يتلقى دروساً في الحياة وأسرارها على لسان الرجل العجوز "كومندار" لأنّ (عمر يتلمّس فهماً لهذه المعاناة لحياته فيها. يقف أمام سؤال متعثّر ، ويحاول باباً يرى نفسه قادراً على فتحه.)[48]

–كومندار: اشتق تسميته من مسار مهني عسكري طويل، كلَّفه بَتْرساقيه، هو (الشيخ الذي يشبه شجرة من حديد ، والذي ينصت لضوضاء الأرض ويفهمها .)[49]وهو الذي كان يكشف الأسرار

لعمر، ويُلقِنه العبر الكبرى من حياة العالم، (على عمر أن يعرف هذه الأشياء كلها، قال كومندار)[50].

7- 2- الشخصيات الثانوية:

تتفاوت في أهميتها بحسب فعاليتها في المتن السردي وعلاقتها بالشخوص الرئيسية وهي:

-قارا علي: صديق السلطة وخائن الوطن، رجل في الخمسين من العمر، زوج "ماما" ليس له أولاد، ينظر إلى "حميد سراج" على أنَّه "الجاني الأكبر"، في قوله (...والجاني الأكبر، هو حميد سراج: فهذا الشخص قد أودع في أدمغتهم شيئاً !فلاحونا ناس سذّج أبرياء؛ لا يمكن أن يُفكروا في الشر وحدهم، هم خرفان، وسيذهب بهم إلى المسلخ، هكذا سيكون مآلهم !)[51].

بينما هو رجل السلطات، ينظر إلى الفرنسيين نظرة إجلال وتقدير، (الفرنسي رجل عظيم، حكيم، يمكن أن نقول عن الفرنسي إنَّه من جملة الأقدمين أسَّس أوَّل حقل كروم، كان على دراية بما كان يفعل !)[52].

-ماما بَنْت عَدْري: زوجة قارا علي وأخت زهور، امرأة شابة، في عمرها أربعة وعشرين سنة، تُساوِرها بعض

الشكوك حول زوجها الخائن.

-زهور: فتاة شابة، رشيقة، تبلغ الرابعة عشر وشهرين أو ثلاثة، وهي في نظر "قارا علي" صارت امرأة بحق، وينوي تزويجها.

-باددوشلوفييخو: فلاح وهو شيخ عجوز، يُدعَى (العم باددوش) تؤرِقه أمور بداخله عن الوضع الذي يعيشونه، ويبدو هذا جلياً في كلامه مع "سليمان مسكين".

-سليمان مسكين: فلاح، اتصف بالصراحة والجرأة في مواجهة "قارا علي" فصنَّفه بأنَّه سارق، لذا صرَّح "قارا علي" للفلاحين، (أنَّه يعتبر عدوا للحكومة وللإسلام كلّ فلاح يتخذ سليمان مسكين صديقاً)[53].

يعدُّ كلاً من "بَاددوشلوفييخو" و"سليمان مسكين" نموذجاً عمَّا يعيشه الفلاحون من وضع يدعو إلى التغيير، منبعثاً صوته من أعماق نفوسهم.

كما تضمنت الرواية عِدَّة أسماءٍ لشخصيات ثانوية أخرى لتصوير الجو العام للتوتر الذي كان سائداً في أوساط الفلاحين والمعمرين على السواء في بني بوبلان.ونذكر منهم: "أحمد بن سماحة"، "بوشناق"، "عيسى"، "أحمد"، "خضير أمحمد"، "عبد الله البقال"، العجوز "طوما"، "صفية"، العمة "دوجا"، "الهاشمي"، "سعيد"، الجدة "مو-الخير"، ابن أيوب، علي برابح، عزوز علي، زَهرَة، بن سالم عده، صالحه، العجوز إيمليا، المحافظ، نائب المحافظ، عمتي خيرة، الشاب شارف محمد، بولدوغ، ماركوس، موسيو أوغست، ...وغيرهم.

إنَّ هذا التنوع في توظيف الشخصيات الثانوية يُساهِم في خلق الصورة الروائية وتمكين القارئ من استيعاب الأبعاد الدلالية للرواية وما ترمي إليه من فكر اجتماعي وسياسي وأخلاقي وديني.

7- 3- البناء الفنّي للمكان:

تقع أغلب أحداث الرواية في "بني بوبلان" في الريف، فهو يُمثّل المكان الرئيسي أين يعيش الفلاحون، وتتواجد مزارع المعمرين، وأيضاً بيت "قارا علي" وأراضيه.

إنَّ "بني بوبلان" فضاء جامع لتناقضات بين المعمرين والفلاحين الذين (تنحصر حياتهم في قضاء أيام فلاحية رعوية لدى المعمرين)[54]

كما تضمنت الرواية مكاناً جزئياً تمثَّل في "دار السبيطار"، حيث أنَّ السارد عرض للأحداث الواقعة فيها وخاصة المتعلقة بـ"عمر" و"عيني"، وهذا ما جعلنا نؤكِد أنَّ رواية الحريق ترتبط ارتباطاً عضوياً برواية الدار لكبيرة لوجود قواسم مشتركة بينهما.

7-4- البناء الفنّي للزمن:

يمكننا تحديد الزمن، اعتماداً على أهم الإشارات الزمنية الواردة في الرواية في الشكل التالي:

صيف 1939≥ زمن الرواية ≤ نهاية شهر جانفي.أي أنَّ الاشتغال الزمني للرواية ينحصر في المجال المحدَّد بين [صيف 1939، نهاية شهر جانفي].

وجاءت الإشارات الزمنية كالتالي:

-بداية الزمن الروائي: (لم نغادر وقتها سنة 1939، صيف 1939 تحديداً)[55].

-شهر أوت: (بعد الزوال في شهر أوت، هو موعد يومي يستعرض قدرته في التأثير على سفوح الجرف المبيضة)[56].

-(...تبدو فترة بعد الزوال، في شهر أوت، مثبتة في صلب الأزمنة الخالِدة)[57].

-(كان اللهب المنبعث في شهر أوت)[58].

-الصيف: (طال أمد صيف 1939 إلى ما لانهاية)[59].

- شهرسبتمبر: (كانت الفترة أواخر أيام سبتمبر)[60].

-الدخول المدرسي: (كانت فترة العطلة الكبيرة تميل إلى النهاية، نبَّه عمر أمه، في الدخول المدرسي المقبل...)[61].

- شهر جانفي: (...جاءت المرحلة الأكثر إثارة ملحمية في السنة، فشتاء تلمسان القاسي المظلم والمحرق مثل قطعة الجليد، لا يعلن عن مجيئه سوى في نهاية شهر جانفي)[62].

(كانت الأرض المتناقصة بفعل شمس جانفي، تستسلم للموت البطيء)[63].

وختم ثلاثيته برواية " **النول**" التي تعدّ تكملة للمسار السردي للروايتين السابقتين ،وهو يصوّر فيها حرفة النسيج كظاهرة اجتماعية رافقت الحرب ، من ذلك قوله (الأنوال تخبط وتقرقع . وعمر منكب على عمله شارد اللب) [64]، حيث كان هذا العمل يشكّل مصدر رزق لـ " عمر" (كان عمر يعود إلى البيت في كلّ يوم من أيام السبت حاملاً في جيبه أجر الأسبوع ، وهو عشرون فرنكا، فما يكاد يضعه في كف أمه حتى تأخذ تدعو له بصوت خافت : الله يسعدك ، شكراً يابني ...)[65].

صوّر " محمد ديب " في هذه الرواية حياة النسّاجين المتعبة والمرهقة داخل مصنع النسيج الذي يملكه " ماحي بوعنان"، وما يدور بينهم من أحاديث تكشف عن وعي الشعب وتفطنه إلى ضرورة

تغيير الوضع الاجتماعي السائد ، والذي يمثّل إهانة لشعب الجزائر ، مثل ماقاله " عكاشة" لـ " عمر" (لقد أهين شعبنا كثيراً... وسيخرج من ذلك أمر رهيب هائل) [66]، وتظهر الإهانة هنا في انتشار الجوع والفقر والحرمان ، وظهور الكثير من المتسولين يمشون في الشوارع كأنّهم أشباح لسوء حالتهم (فكان عمر يشعر من ذلك باستياء: إنّه يحس، شاء أم أبى أنّ هؤلاء الحفاة منه وأنّه منهم) [67].

ظهرت هذه الفئة من الناس تترامى في الشوارع نتيجة الاستعمار الفرنسي ، مثلما أتى على لسان رجل في النول : (هؤلاء ليسوا حشرات ، إنّ الحشرات التي انقضت على بلادنا هي التي صيّرت إخوتنا إلى هذه الحال) [68].

ويمكننا أن نستدلّ بالمقطع التالي الذي يكشف عن شدّة الجوع في قوله :

سأله الرجل : هل في الريف مجاعة؟ (...)

وقال أخيراً بصوته الأصم الثقيل :

- حتى عصافير ربنا تموت جوعا هناك) [69] .

فكانت مظاهر الجوع والتشريد والحرمان التي انتشرت في الشوارع إنذاراً أكيداً بأنّ حالة الشعب في خطر وفي تدهور مستمر ، مثلما ذكره " عكاشة " في قوله : (لقد أهين شعبنا كثيراً ... وسيخرج من ذلك أمر رهيب هائل) [70]، فكان إحساس الشعب بالإهانة سببا في قيام الثورة ورغبة في تحقيق العيش الكريم ، مثلما يظهر في كلام حمدوش لعمر : (بل أريد لهم أن يتعلموا كيف لا ينشدون إلاّ سعادة واحدة ، الحرية.) [71].

نجد أنّ هذه الرواية تشترك مع غيرها من الروايتين السابقتين في بعض العناصر السردية ، نذكرها فيما يلي :

الشخصيات : مثل شخصية عمر ، عيني ، حميد سراج ، زهور ، أُختَي عمر " عيوشة ومريم" اللتان تعملان في مصنع السجاد.

المكان : دار السبيطار ، بني بوبلان.

الزمن :نلاحظ استمرارية في التدفق الزمني للأحداث السردية ، ممّا يؤكد أن رواية " النول" تمثّل بحق الجزء الثالث لثلاثية " محمد ديب"، فمثلاً شخصية " عمر" انتقلت من سن الحادية عشر في رواية الحريق إلى سن الثالثة عشر في هذه الرواية ، ويظهر هذا في قول السارد (لقد طالما رددت أمه على مسامعه أنّه أصبح في الثالثة عشر من عمره ، وأنّ كلّ ساعة من تعاطل فهي وقت ضائع)[72]، ثم زاد عمره سنة كاملة من خلال الحديث الذي جرى بينه وبين المحسن " ماحي بوعنان " عندما قصده في بيته طلباً للعمل :

(– ماعمرك؟

–خمس عشرة سنة.

– زاد عمره سنة من قبيل الحيطة.) [73]

تعالج رواية " النول " الحياة الاجتماعية للشعب الجزائري بعد إعلان الحرب العالمية الثانية من خلال التركيز على حياة النسّاجين ، باعتبارها ظاهرة مصاحبة للحرب ، مثلما ذكره السارد (ولكن ما أن أخذت صفارات الإنذار تولول ، حتى ألّمت بالمعامل حُمّى مسعورة . فما من حي ، وما من مكان ، بل ما من ضاحية إلاّ واهتزت بنشاط الحائكين)[74]، أمّا الزمن الذي اشتغلت عليه الرواية ، فنحدّده اعتماداً على الإشارات اللغوية التي ذكرها السارد فيما يلي : (هذا هو الشتاء الثالث بعد إعلان الحرب) [75] ،وفي قوله : (حلّ تشرين الأول ، ثمّ حلّ تشرين الثاني ، لم ينقض الصيف) [76]، أمّا المكان فتقع أغلب أحداث الرواية في المدينة ، أين تتواجد دار السبيطار ومصنع النسيج .

8 ـ خـاتمة:

ما نلاحظه على ثلاثية " محمد ديب" ، أنّه حاول من خلالها تصوير الواقع الاجتماعي للجزائر أثناء الاستعمار الفرنسي ، وماعاناه الشعب من كلّ مظاهر البؤس والشقاء والحرمان ، التي دفعت به إلى ضرورة تحديد مصيره والبحث عن الحرية التي تحقق كرامة الشعب ، وهنا يظهر لنا أنّ (العلاقة بين الأدب والثورة علاقة تأثير ، فالأدب يدعو إلى الثورة والتغيير والثورةنيها تغير من مفاهيم الأدب وشخصياته ورؤاه) [77]، لذا (يمكن القول إنّ الرواية رسالة جزئية رغم كونها كاملة شكلياً)

[78] ، فهي تعتمد على الواقع كمرجع لها ، لكنّها تفترض عدّة تأويلات (فالقارئ وحده هو المؤهل لإعطاء معنى ما لبنية مفتوحة مثل هذه ، فلا حدود للرواية) [79]، وهذا ما يمكننا من استيعاب الصورة الروائية التي تبنيها بحسب علاقة السرد الروائي بالمتخيل الفنّي وما يستمدّه من الذاكرة.

9 ـ الهوامش :

1- عبد الله ركيبي : الشعر في زمن الحرية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص: 29.

2_ ينظر : ابراهيم سعدي : دراسات ومقالات في الرواية ، منشورات السهل ، دط، 2009، ص : 86.

3_ إدريس بودية : الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار ، دط، 2007، ص: 19.

4- مصطفى الأشرف : الجزائر ، الأمة والمجتمع، تر : حنفي بن عيسى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983، ص: 422.

5- إدريس بودية ، مرجع سابق ، ص: 12.

6- سعيد علوش :الرواية والأيديولوجية ، دار الكلمة للنشر –بيروت- ، ط2، 1983، ص: 25.

7-ينظر : AbderrazakHellal : Image D'une Revolution , Office Des publications Universitaires ,2009.)

8- شعيب حليفي: هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، دار الثقافة، ط1،2005، ص:11.

9-محمد ديب: الدار لكبيرة، تر: أحمد بن محمد بكلي، سيديا، دط، أوت، 2001، ص: 81.

10- رواية الدار لكبيرة، مصدر سابق، ص:82

11- المصدر نفسه، ص:82.

12- المصدر نفسه، ص:22.

13- المصدر نفسه،ص:24

14- رواية الدار الكبيرة ، ص: 76

15-روجر .ب. هينكل : قراءة الرواية

16-المصدر السابق ، ص: 207.

17-المصدر نفسه ، ص: 68.

18-المصدر نفسه ، ص: 145.

19-رواية الدار لكبيرة ، ص: 72.

20 – محمد بوعزة : تحليل النص السردي – تقنيات ومفاهيم- ، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، ط1، 2010، ص: 57.

21-رواية الدار لكبيرة ، ص: 16.
22-المصدر نفسه ، ص: 92.
23-المصدر نفسه ، ص: 81.
24-المصدر نفسه ، ص: 31.
25-المصدر نفسه ، ص: 43.
26-رواية الدار لكبيرة ، ص: 79.
27-المصدر نفسه ، ص: 79.
28-المصدر نفسه ، ص: 139.
29-المصدر نفسه ، ص: 199.
30-رواية الحريق ، ص: 217.
31-المصدر نفسه ، ص: 218.
32-المصدر نفسه ، 221.
33-رواية الحريق ، ص: 222.
34-المصدر نفسه ، ص: 139.
35-المصدر نفسه ، ص: 148.
36-المصدر نفسه ، ص: 150.
37-رواية الحريق ، ص: 36.
38-المصدر نفسه ، ص: 247.
39-المصدر نفسه ، ص: 161.
40-رواية الحريق ، ص: 187.
41-رواية الدار لكبيرة ، ص: 134-138.
42-رواية الحريق ، ص: 252.
43-رواية الدار لكبيرة ، ص: 144.
44-رواية الحريق ، ص: 15.
45-رواية الدار لكبيرة ، ص: 91.
46-رواية الحريق ، ص: 68.
47-رواية الحريق ، ص: 54.
48-المصدر نفسه ، 98.
49-المصدر نفسه ، ص: 99.
50-المصدر نفسه ، 124.
51-المصدر نفسه ، 71.

52-المصدر نفسه ، ص: 114.
53-رواية الحريق ، ص: 123.
54-رواية الحريق ، ص: 10.
55-المصدر نفسه ، ص: 11.
56-المصدر نفسه ، ص: 83.
57-المصدر نفسه ، ص: 124.
58-المصدر نفسه ، ص: 160.
59-المصدر نفسه ، ص: 168.
60-رواية الحريق ، ص: 211.
61-المصدر نفسه ، ص: 249.
62-المصدر نفسه ، ص: 249.
63-المصدر نفسه ، ص: 299.
64-رواية النول ، ص: 38.
65-المصدر نفسه ، ص: 60.
66- المصدر نفسه ، ص: 129.
67-رواية النول ، ص: 72.
68-المصدر نفسه ، ص: 67.
69-المصدر نفسه ، ص: 98.
70-المصدر نفسه ، ص: 129.
71-المصدر نفسه ، ص: 142.
72-رواية النول ، ص: 08.
73-المصدر نفسه ، صص : 20، 21.
74-المصدر نفسه ، ص: 13.
75-المصدر نفسه ، ص: 11.
76-المصدر نفسه ، ص: 150.
77-أحمد محمد عطية : البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة ، وزارة الثقافة السورية ، 1977، ص:27.
78- برنار فاليط : النص الروائي – تقنيات ومناهج- ، تر : رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة ، دط، دت، ص: 33.
79- المرجع نفسه ، ص: 33.

10 ـ قائمة المراجع :

- ابراهيم سعدي : دراسات ومقالات في الرواية ، منشورات السهل ، دط، 2009.

- إدريس بودية : الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار ، دط، 2007.
- سعيد علوش :الرواية والأيديولوجية ، دار الكلمة للنشر –بيروت- ، ط2، 1983.
- شعيب حليفي: هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، دار الثقافة، ط1،2005.
- عبد الله ركيبي : الشعر في زمن الحرية ، ديوان المطبوعات الجامعية.
- مصطفى الأشرف : الجزائر ، الأمة والمجتمع، تر : حنفي بن عيسى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983.
-أحمد محمد عطية : البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة ، وزارة الثقافة السورية ، 1977.
-برنار فاليط : النص الروائي – تقنيات ومناهج- ، تر : رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة ، دط، دت.
-محمد بوعزة : تحليل النص السردي – تقنيات ومفاهيم- ، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، ط1، 2010.
-محمد ديب: الدار لكبيرة، تر: أحمد بن محمد بكلي، سيديا، دط، أوت، 2001.
AbderrazakHellal : Image D'une Revolution , Office Des publications . Universitaires ,2009